

الطفل في السجن

للاستاذ فتح الله محمد المرصفي

مفتش العلم بمحاكمة السجون

إن من المسائل الاجتماعية الخطيرة في مصر بل وفي غيرها من أمم العالم المتمدين مشكلة الأحداث الأمل وصغار المجرمين ولم أفنا عرض لبحثها وعلاجها كلما سنحت لي الفرصة في أي ناحية من نواحي الحياة المصرية يكون لها أثرها وصوتها المسموع عند رجالات مصر المفكرين والعاملين على الإصلاح وقادة الرأي العام وفضليات النساء اللواتي كلفن بالخدمة العامة وشؤون مصر الاجتماعية وإنه ليزيد في غبطني ويفضاعف رجائي أن تنفس لنا اليوم "مجلة الشؤون الاجتماعية" مكانا بين صفحاتها لنسمع صوت الطفل السجن ناحية من نواحي مؤاساة الطفولة المعذبة .

وفي يقيني أن في مقدمة العلل والأدواء الاجتماعية في المجتمع المصري الأسرة المصرية فإن إغفالها اليوم دون تشريع أمر سيكون له نتائج السيئة وعامل قوى في انتشار الجريمة ومضاعفاتها وما ذلك إلا من فوضى الحرية التي ملكت مشاعر أفراد الأسرة كبيرها وصغيرها غنيا وفقيرها .

ومن القول المبثور أن ليست الهيئة الاجتماعية إلا اتساع دائرة الأسرة فاذا أخرج الإنسان من أسرته فاسد الأخلاق دخل المدينة فاسد الأخلاق .

وليس بعزير على المرأة المصرية بعدما أصبحت فيه من مكانة في المجتمع المصري وفضل ما قامت به زعيمة الحركة النسوية ورئيسة الاتحاد النسوي صاحبة الدعامة السيدة هدى هانم شعراوى وجاهدت في سبيله لخير المرأة المصرية أن تعمل لإسعاد الأسرة ورفع مستوى الحياة الاجتماعية ومن أولى بإصلاح حياة الأسرة وشؤونها الاجتماعية وأبرع من المرأة، تلك التي قبل عنها بحق إن هزت المهدي بيمينها فقد هزت العالم بيسارها .

وإني أهاب فيما ألمعت إليه من كلمات وجيزة ألا تتسع سطورها فالمح لما سيجله التاريخ القديم والحديث واعترف به علماء الاجتماع وأقره القادة والمصلحون وما نصت عليه الشرائع والأديان المختلفة عامة من مكانة المرأة في جميع نواحي الحياة، التي إن صالحت صلح كل شيء، وإن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق .

وإئن جاز لنا أن نسجل ما توج به هذا العصر المجيد من احساس فياض غمر أفراد الشعب فاطبة وبخاصة الفقراء في شخص الجمعيات الخيرية والمنشآت الانسانية من تبرعات ملكية ومبرات

يقصر دونها الاحصاء فان مليكا البار الصالح المحبوب "فاروق لأؤل" حفظه الله قد ضرب لنا المثل العبا في كل مناسبة عما يكفه من عطف سام لخير الانسانية وفي مختلف نواحي الحياة الاجتماعية المصرية.

وقد سارع القوم والعاملون على الاصلاح لخير الانسانية وفي مقدمتهم المرأة المصرية في شخص الاتحاد انشائي وما عداه من الجمعيات النسوية إلى إقامة المندشات وماوى الأطفال وتخفيف ويلات الفقراء مما سوف يكون له أبلغ الأثر في حياة أفراد الشعب من المعوزين البائسين وطبقات الأمة على السواء ومما قد يصيبها من شر عاجل أو آجل .

فها قد لقي اليوم الطفل الشريد وأخوه اليتيم وغيرهما من أطفال الشوارع والنقطة ومن اليهم من الأطفال الشواذ من الحماية والرعاية في زمن اتجهت فيه أعمال البروق عصر توجهت اليه عطفة الخير وفعل الانسانية الى الطفل الفقير وما أحوجه إلى إقامة المشروعات الخيرية والمؤسسات الانسانية .

إلا أنه جدير بنا أن نخص بالذكر في هذا المقام مئات الأطفال بل وعشرات الألوف ومن هم في أعمارهم الغضة من نزلاء السجون أو من يزجون فيها سنويا بين عتاة المجرمين لالذنب جنوه سوى افتقارهم إلى عطف الافراد والهيئات العاملة من أبناء قومهم والمصلحين من قادة الرأي العام قشملهم الرعاية ويحجمهم الدانون مما أقرهوه من إثم كان سببا في الحكم عليهم وترديهم في هرة الاجرام، فأطفالنا في محاكمهم ليسوا إلا كالباقين من المجرمين وهم أشدما يكونون حاجة إلى إصلاح وتهذيب يسير بهم إلى الحياة الشريفة وسوف يأتي اليوم القريب الذي يال فيه هؤلاء لأطفال ما اقيه أمثالهم من عطف وحنان أبوى بين جدران الاصلاحات اليوم بما أدخلنا فيها من نظم رشيدة واتجاهات حديثة كان لها أثرها في حياتهم مدة إقامتهم بتلك الدور التي أصبحت تسمى بحق معاهد الاصلاح وتهذيب .

إن ما أريد أن ألفت النظر إليه أن يتندر ذوو الرأي والعاملين على الاصلاح ما أصبحت عليه حالة اجريمة من الأحداث وخطرها علينا وتزايدها بيننا في العشر السنوات الماضية كما ولست أريد أن آتى مفصلا على ما تدور حوله الأرقام والاحصاءات عن مختلف الجرايم وحصرها فاحصاءات الدولة السنوية خير مرجع لمن يريد التدقيق وما أصبحت تصدره مصاحبة السجون من تقارير سنوية تشتمل على الكثير من الأبحاث بخاصة ما يحيط بالحدث من نواحي الحياة الاجتماعية مؤيدا بالأرقام الدقيقة والآراء السديدة فاذا ما علمت أيها البارئ الكريم أن مجموع الأحداث المحكوم عليهم فيما بين سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٥ قدروا ١٠٠٥٧ منهم ٢٢٣ بنتا زوج من هؤلاء بين جدران السجون ما لا يقل عن ٤٠٠٠ طفل أو يزيد و ٥٠٠٠ نفذ عليهم الخلد بالعصا هذا غير من قد حكم عليهم في هذه

المدة بالوضع باصلاحيات الأحداث . وفي غضون المدة ما بين سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٢ زاد مجموع المحكوم عليهم من الأحداث الى ما قدر ٤٥٦٧٥ من هؤلاء ٦٤٨ بنتا منهم ٣٦٩٦١ أمضوا مدة العقوبة بالسجون العمومية والمركزية من بينهم ٤٥٠ بنتا كما ألحق ٢٣١٨ غلاما منهم ٤ بنات في اصلاحيات الأحداث ونفذت عقوبة الجلد على ٨٣٩٦ غلاما من بينهم ٤ بنات فقط .

وفي سنة ١٩٣٥ كان عدد المحكوم عليهم بالتأديب الجسماني والحبس بالسجون والوضع باصلاحيات الأحداث ٩٠٩٠ منهم ١٦٥ بنتا ألحق من هؤلاء باصلاحيات الأحداث ٣٢٨ منهم ٧٣ بنتا والباقون زجوا بالسجون ومنهم من نفذ عليهم عقوبة التأديب الجسماني بالسجون وفي سنة ١٩٣٦ حكم على ١٩٥٥٠ غلاما ألحق من هؤلاء ٤٥٢ غلاما باصلاحيات منهم ٤٨ بنتا والباقون قضوا مدة العقوبة بالسجون العمومية والمركزية ومنهم من نفذ عليهم عقوبة الجلد بالعصا ما بين عصا واحدة الى ٢٤ داخل السجون .

وقد أشار تقرير السجون السنوي الأخير الى أن من بين الاحداث المفرج عنهم بعد تنفيذ التأديب الجسماني في السنة القضائية ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ما قدر بـ ٢٢٤٠٥ غلاما كما عني بمحصر النلمان الذين كانوا بالسجون في هذه السنة القضائية وعددهم ١٩٠٢ غلاما تتراوح أعمارهم ما بين سبع وخمس عشرة سنة .

وليس بغريب أن يكون للاحداث الاصلاحيات حظ وافر من التقرير السنوي للسجون إذ ان الرعاية التي يتلقاها الاحداث اليوم والعناية التي شهدتها دور الاصلاحيات ما سجله تاريخ الاصلاح لرجل أفاض على هؤلاء بعطفه وأولاهم عنايته وتقديره ولم يفتأ بذكر الطفل السجين فأدع إليه "في أن الحكم بالسجن على هذه الناشئة ويحال بينهم وبين مستقبلهم بحكم القضاء الذي هو الفصل بين الماضي وبين المستقبل فأمر فرغ المشرعون من بحسه وأجمعوا على هذا دأبه" نعم أننا نخلق من أطفالنا لهمل مجرمين عتاه إذ أننا لم نفكر بهد فيما دفعهم من أسباب الى ارتكاب الجرائم ولا في الوقوف على حقيقة العوامل التي كانت ولا تزال تعمل على ارتكابهم الجرائم حيث الجماهير الهادئة .

حقا ان أطفالنا اهل وصغار المجرمين ومن يسعدهم الحظ فيساق بهم الى الاصلاحيات دون أن تقف منهم على الأسباب الجوهرية واعوامل النفسية والعقوية والصحية وما عداها مما أحاط الأسرة من ضعف شامل لنواحي حياتها الاجتماعية والحق يقال إنما أحوج الى تشریح شامل لنواحي الحياة الاجتماعية ونظم كفيلة برعاية الاحداث وحمايتهم أثناء محاكمة هذا إلا أننا نفتبط اليوم بفرحة الفكرية للاصلاح والتهديب وما يتجه اليه من تقدير لحرية الطفل ، ويلوح لي أنهم يحاكون في جميع قضاياهم بنظام محاكمة المجرم البالغ بعيدا عن نظم

محاكمة الاحداث اليوم في البلدان الأخرى والتي أصبحت أشبه بهيئة عائلة هذا الطفل
الرجين ورواقه كما قرر عنهم صاحب السعادة مدير السجون في تقريره السنوي صفحة ٢٣
”فقدوا مصادر الحيو وموارد المال إما بفقد الأهل والأقربين أو لأنهم أصبحوا مهجورين
فصاروا من العوز لدرجة لا يحدون معها حتى ما تسد لزرق أو يستر السموات هؤلاء هم
المعرضون للانزلاق والوقوع في الجرائم التي من أجلها تفتح أبواب ترحيم السجون“ وقد امتثل
سعادته قائلاً ”إننا اصلاً حياتنا اصلاحيات زراعية في كل حاضرة مديرية و وحدة منها تنتشل
أبناء المديرية الحمل والمهجورين مما لا محالة ماثرون اليه من العاسة وسوء لمصير“ .

وإلى أولى الأمر فينا وقيادة الرأي العام منا نسمع صوت هذا الطفل السجين عالياً إذ
ملك عليه السجن مشاعره وأساءه طفولته وأفقدته حريته وانتزع من بين أضلاعه ذلك الحب
القطري فأودعه انتقاماً وشرّاً مستطيراً نحو نفسه وبني عشيرته وأنه بما يوضع من نظم تكفل
له ولأمثاله حق الرعاية والحماية سواء أكان ذلك أثناء المحاكمة أم القضاء لمدة حكم قد يستعاض
عنها بالوضع تحت المراقبة فنصوبهم من الاتلاق في بيئات الجريمة والمجرمين. فنجد مائة سنة
أورزيد كان الكثيرون من الأطفال في بلاد الانجليز كغيرها من أمم العالم ينجون في السجون
بين طغمة الاجرام وفوق ذلك كان يحكم على اطفال بلادهم إذ ارتكب بعض الجرائم ندها
في عصر المدنية اليوم ناهية بحيث يكتبى بوضع مثل هذا الطفل تحت المراقبة Probation System
كعلاج له أثره في حياة الاصلاح والتهديب ومقاومة الجريمة بوجه عام وتمتد بدا للقوم
تدريجياً أنهم باعقافهم اصلاح شأن الأطفال لمحل وصغار المجرمين يمتقونهم مجرمين عنه فما
الطفل المشرد اليوم إلا المحرم العتيد ابن الغد وأن الشعب الانجليزى ليفخر اليوم بما وصل
اليه من وسائل لاصلاح شأن الأحداث لمحل وصغار المجرمين والوقاية من الجريمة والأطفال
يحاكمون في مجرات خاصة وتشكل محاكم الاحداث من قاض تعاونه سيدة تجلس معه
أثناء المحاكمة كما يقع هيئة المحكمة سيدة أخرى تؤدي وظيفة ضابط قضائي ومن المقرر أيضاً
أن رجل البوليس الذى يحضر ليؤدي شهادته على الطفل يحضر بملابس عادية غير رسمية كما
يتعين أن يقع ضابط المراقبة Probation Officers لكل محكمة من محاكم لاحداث
في أنحاء المملكة وفي مقدمة وجباتهم الاشراف على الحدث الصغير في منزله والدمر على حالته
الصحية والحلقية وعظائنه الفرصة لاستعادة احترام نفسه كي يتدخّل عضوا عاملاً في الجماعة .

فتح الله محمد المرصفي